عودة الشباب

أحلم هذا ؟ أفي حدود الامكان أن يعود الشيخ شابا ؟
أم هو أمل بعيد التحقيق ، مستحيل الحدوث ؟

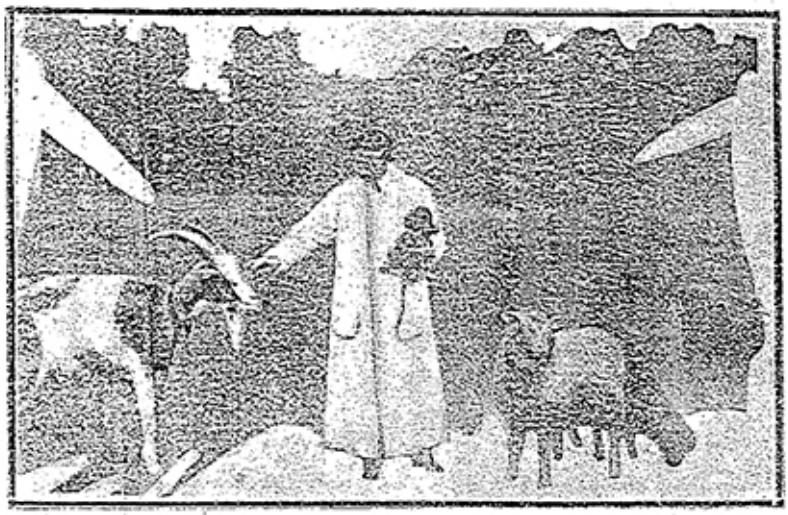

الدكتور « فورونوف »

حيث يربي في مزارعه عددا كبيرا من القردة والكلاب والأغنام .

ويرى القارىء في الجهة اليمنى من الصورة كبشا ، قد أجرى له الدكتور « فورنوف » عملية اعادة الشباب والى جانب هذا الكبش ابنه الذي يراه القارىء على يساره !

***

لعل أعذب أمنية تمناها الناس منذ اقدم الأزمنة ، هي عودة الشباب ! تلك الأمنية التي ظل يحلم بها الشعراء الأقدمون والحديثون ، وملؤا بها أشعارهم وقصيدهم ولم يتركوا فرصة للتعبير عن أسفهم لفراق الشباب وحلول المشيب والشيخوخه بهم الا انتهزوها !

وقلما نجد انساناً لا يحفظ قول القائل

ألاليت الشباب يعود يوما فأخبره بما فعل المشيب

وقول الآخر

شيئان ـ لو بكت العيون عليهما بالدم حتى آذنت بذهاب

لم يبلغا المعشار من حقيهما (فقدالشباب) وفرقةالاحباب !

على أن بعض العلماء المعاصرين كرس حياته رغبة في الوصول الى طريقة يتخلص الانسان بها من الشيخوخة ! وهو لا يزال الآن يواصل العمل بجد ومثابرة للوصول الى غايته !

ولكننا جديرون أن ننبه القاريء الى عدة نقط هامة لا ينبغي لمن يطرق هذا الموضوع اغفالها بحال ما ، وإلا كان عرضة للوقوع في نفس الاغلاط المتكررة التي وقع ولا يزال يقع فيها جمهور غفير من الناس !

يجب أن يتعرف القاريء النقطة التي استطاع الطب الحديث أن يصل اليها في هذه الطريق ، التي لم تعبد ، ولم يبلغ العلم فيها غاية يحسن السكوت عليها والاطمئنان اليها !

لقد كتب الكاتبون المقالات الرنانة الطويلة ، وهللوا وكبروا ، زاعمين أن اعادة الشباب قد أصبحت أمرا سهل الامكان ، وأن ليس بين الشيخ الفاني الا أن يجروا له عملية طبية ، فأذا هو شاب في عنفوان نشاطه يمرح ويلهو ، ما شاء له اللهو والمرح !

وهذا خطأ محض ، تضافرت على وقوع الناس فيه عدة أسباب قوية ، أدخلت في روع الكثيرين أن الطب على كل شيء قدير وان العلم قد كاد يصل الى تذليل كل مستحيل ، وأن ليس بينه وبين التغلب على الموت الا خطوة يسيرة ، لا يلبث أن يخطوها حتى ينال الناس ما تصبو نفوسهم اليه من الخلود.

وليس هذا أول وآخر الاخطاء التي انخدع الجمهور الساذج في الاستسلام لها ، ولا هو آخرها ، فأن القراء يذكرون بلا شك ، كم مقالا قرأوا ؛ زعمت فيه الصحف والمجلات أن فلانا من الاطباء قد اكتشف مرض السل وأن آخر استطاع الوصول

الى الشفاء من الزهري وثلثا توصل الى القضاء على مرض ثالث لا يقل خطره عن هذين المرضين :

وانما شجع الصحف على اذاعة مثل هذه الاراجيف التي لا يقرها العلم ولا يؤمن بصحتها الطب ، الامور التالية

(١) جهل الناس كثيرا من الحقائق الطبية والبيولوجية وعدم عناية المدارس بتعليم الناشئة امثال هذه العلوم النافعة ، مكتفية بحشو أدمغتهم بغيرها من الامور التي الفت أن تزودها بهم — على قلة غنائها في الحياة ؛ ثم يخرج الطالب عاجزا كل العجز عن مناقشة اية فكرة من هذا النوع أو تبين وجه الصواب فيها

(٢) رغبة الصحف في الرواج والذيوع ، وانتهازها هذه الفرص لتغفل هذا الجمهور المسكين ، الذي يزيدها تهافته على مثل هذه الاخبار الغريبة ، امعانا في سلوك هذه الطريق !

(٣) وجود كثيرين من دجالي الأطباء ، الذين ينتحلون لانفسهم صفات لا تؤهلهم لها كفاياتهم المغمورة ، وعقولهم القاصرة ، وينشرون عن انفسهم اعلانات مدهشة لا يلبث أن ينخدع بها كثير من البسطاء وهؤلاء الدجالون هم مصدر الخلط وسبب كثير من هذه الاغاليط الشائعة

وليس للعلماء شكوى أشد مرارة الا من هذا النوع من المرتزقة الذين لا ضمير لهم يحاسبهم ، ولا رادع لهم من نفوسهم الخبيثة يمنعهم عن مخادعة الناس

ومهما يكن من أمر ، فان هناك الدكتور « شتنباخ » والدكتور « فورونوف » وهما من أعظم من انجبهما عالم الطب وقد استطاعا ان يصلا الى نتائج قيمة في هذا السبيل وقد تمكنا من خدمة الكثيرين من المرضى ، وتقويتهم من ضعفهم الشديد ، وهما لا يزالان يعمل كل منهما منفردا دائبا ليل نهار للوصول الى هذه الغاية ، في صمت وهدوء لا ينغص عليهما صفاءهما الا ثرثرة الصحف وهذرها وانتحال كثير من الدجالين اسميهما للتجارة !

ولقد اظهر الدكتور « شتنباخ » ألمه الشديد ، اذ ادعى بعض الدجالين في لندن أنه من تلاميذه ، واذاع عنه آراء مملوءة بالمغالاة والكذب ، ثم انفضح امره

ولكن آخر حل مكانه ، فزاد الطين بلة ، وأمعن في الاساءة الى الدكتور بما افتراه عليه من اقتسابه اليه ، وايهام الناس انه تلميذه ، واسناد كثير من الاكاذيب اليه ! وكان نصيبه السجن عدة مرات في بلاده .

وهذه أبلغ اساءة لحقت الدكتور « شتنباخ » وآلمته أشد ايلام

وموجز القول : أن هناك سعيا حثيثا لا تفتر همة أصحابه في سبيل رد الشباب ومكافحة الشيخوخة وأن هؤلاء الساعين قد وصلوا الى نتائج محمودة ، وأن الامل لا يزال معقودا بهم وبأبحاثهم المنتجة ومساعيهم المشكورة في خدمة الانسانية

هذه هي الحقيقة كلها ، اما ما عدا ذلك فهو اسراف دعا اليه حب الكسب والمتاجرة باسم العلم ، ورغبة الصحف في الذيوع على حساب الجمهور الساذج !

أقيمت في القاهرة حفلة خيرية لاعانة بعض الجمعيات الخيرية وتطوعت كريمات العقائل والاوانس للخدمة جريا للمال من الرجال الذين يخضعون امام تمثال جمال الحسان

فطلب احد الحاضرين كأس وسكى فقدمته له حسناء ذات جمال فتان واقبلت تتهادى بقدها المياس فقال لها الرجل

كم ثمنه ؟

فقالت الثمن نصف ريال فقط . ثم أدنت الكأس من شفتيها القرمزيتين الغضتين واخذت شفطه وقالت : وأما الآن فثمنه ريال

فدفع الرجل الثمن للسيدة ثم اعطاها ريالا آخر وقال لها

— هاتي غيره

في المطعم

الزبون — ماهذا أيها الخادم . لقد قدمتم لي أمس صحناً يزيد عن ضعفي الصحن الذي قدمته لي الآن

— الجرسون — وأين كنتَ جالسا أمس ؟

— على المائدة المجاورة للنافذة

— هذا هو السبب . فاننا نعطي الجالس هناك أكثر مما نعطي سواه التماساً للاعلان